

هَدْيُ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَيَانِ مَنْزِلَةِ الشَّهَادَةِ وَالشُّهَدَاءِ ١٢ رَجَبِ الْأَوَّلِ ١٤٤٤ هـ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ اسْتَفَاضَتِ النُّصُوصُ الْمُبِينَةُ لِفَضْلِ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمِنْ ذَلِكَ: الْأَوَّلُ: الشُّهَدَاءُ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

الثَّانِي: الشَّهِيدُ يَتَمَنَّى أَنْ يَعُودَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ ثَانِيَةً؛ لِمَا يَرَى مِنَ الْكِرَامَةِ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ لَهَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ، يَسُرُّهَا أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَا أَنَّ لَهَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، إِلَّا الشَّهِيدُ، فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ، فَيُقْتَلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ».

الثَّلَاثُ: أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ. أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ، وَحَسَنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِي رحمته الله، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأَحَدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طَيْبَ مَاكِلِهِمْ، وَمَشْرَبِهِمْ، وَمَقِيلِهِمْ، قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَا أَحْيَاءٌ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ؛ لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ، وَلَا يَنْكَلُوا عِنْدَ الْحَرْبِ، فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: (أَنَا أَبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ)، فَانزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ».

الرَّابِعُ: النَّبِيُّ ﷺ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ شَهِيدًا، وَأَنْ يُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَرَّاتٍ. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ وَدِدْتُ أَنِّي أَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلَ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلَ».

الخَامِسُ: لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ عَظِيمَةٍ. أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنِ الْمُقَدَّامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقْرَابِهِ». قَالَ الْمُبَارَكْفُورِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تُحْفَةِ الْأَحْوَذِيِّ شَرْحِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ»: قَالَ الْقَارِي: وَيَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ قَوْلُهُ «يَرَى مَقْعَدَهُ» عَلَى أَنَّهُ عَطْفٌ تَفْسِيرٌ لِقَوْلِهِ «يُغْفَرُ لَهُ»؛ لِئَلَّا تَزِيدَ الْخِصَالَ عَلَى سِتِّ، وَلِئَلَّا يَلْزِمُ التَّكْرَارُ فِي قَوْلِهِ: «وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ».

السَّادِسُ: لَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَسَّ الْقُرْصَةَ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ الْقُرْصَةِ».

السَّابِعُ: الشَّهِيدُ تُظِلُّهُ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ، جِيءَ بِأَبِي مُسْجَى، وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْفَعَ الثُّوبَ، فَهَانِي قَوْمِي، ثُمَّ أَرَدْتُ أَنْ أَرْفَعَ الثُّوبَ، فَهَانِي قَوْمِي، فَرَفَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ أَمَرَ بِهِ فَرَفَعَهُ، فَسَمِعَ صَوْتَ بَاكِيَةٍ أَوْ صَائِحَةٍ، فَقَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟» فَقَالُوا بِنْتُ عَمْرٍو، أَوْ أُخْتُ عَمْرٍو، فَقَالَ: «وَلِمَ تَبْكِي؟ فَمَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رُفِعَ».

الثَّامِنُ: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرَى دَارَ الشُّهَدَاءِ، وَلَمْ يَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ رَجُلَيْنِ أَيْتَانِي، فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ، فَأَدْخَلَانِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ، لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، قَالَا: أَمَا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ».

التَّاسِعُ: الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ الشُّيُوفِ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي وَهُوَ بِحَضْرَةِ الْعَدُوِّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَبْوَابَ

الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»، فَقَامَ رَجُلٌ رَثٌ الْهَيْئَةَ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى، أَنْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَقْرَأْ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ، ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ - أَيُّ: غَمَدَهُ - فَأَلْقَاهُ، ثُمَّ مَشَى بِسَيْفِهِ إِلَى الْعَدُوِّ، فَضْرَبَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ.

الْعَاشِرُ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ هُوَ التَّجَارَةُ الرَّابِحَةُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِينٍ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: مَنْ هُوَ الشَّهِيدُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ كُلَّ هَذِهِ الْفَضَائِلِ؟ هَلْ هُوَ ذَاكَ الشَّابُّ الَّذِي يُفَجِّرُ نَفْسَهُ؟، أَمْ هُوَ ذَاكَ الَّذِي يَغْتَالُ الْوَلَاةَ، وَيُحْدِثُ الْفِتْنَ وَالْفَسَادَ وَالْفَوْضَى فِي الْبُلْدَانِ، أَمْ هُوَ ذَاكَ الَّذِي يَخْرُجُ لِلْجِهَادِ بَدُونِ إِذْنِ وَلِيِّ أَمْرِهِ؟ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ قَدَامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْمُعْنِي»: وَوَجِبَ عَلَى النَّاسِ إِذَا جَاءَ الْعَدُوُّ، أَنْ يَنْفِرُوا، الْمُقِلُّ مِنْهُمْ وَالْمُكَثِّرُ - أَيُّ: مُقِلٌّ مِنَ الْمَالِ، وَمُكَثِّرٌ مِنْهُ -، وَلَا يَخْرُجُوا إِلَى الْعَدُوِّ إِلَّا بِإِذْنِ الْأَمِيرِ، إِلَّا أَنْ يَفْجَأَهُمْ عَدُوٌّ غَالِبٌ يَخَافُونَ كَلْبَهُ - أَيُّ: شَرُّهُ وَأَذَاهُ -، فَلَا يُمَكِّنُهُمْ أَنْ يَسْتَأْذِنُوهُ، ... وَمَعْنَاهُ أَنَّ النَّفِيرَ يَعُمُّ جَمِيعَ النَّاسِ مِمَّنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْقِتَالِ، حِينَ الْحَاجَةُ إِلَى نَفِيرِهِمْ؛ لِمَجِيءِ الْعَدُوِّ إِلَيْهِمْ. اهـ.

عِبَادَ اللَّهِ: الْعُلَمَاءُ الرَّبَّانِيُّونَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى فِي دِيَاجِيرِ الدُّجَى، بِهِمْ يُرْشَدُ الضَّالُّ، وَيُهْدَى الْحَيْرَانُ، رَفَعَهُمُ اللَّهُ بِالْعِلْمِ، وَزَيَّنَهُمُ بِالْحِلْمِ، وَهُمْ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ بِرَدِّ الْمُتَنَازِعِ فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ إِلَيْهِمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ بَعْضَ الشَّبَابِ لَا يُكْتَرِثُونَ لِهَذَا، وَلَا

يُلْقُونَ لَهُ بِالْأَلْفِ، وَيُصِرُّونَ عَلَى التَّعَصُّبِ لِأَقْوَالِ مَنْ يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ، مَعَ اللَّهْثِ وَرَاءَ الْفَتَاوَى
الْحَمَاسِيَّةِ الْعَاطِفِيَّةِ، الَّتِي تَفْتَقِدُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ بِالْوَاقِعِ، وَمُرَاعَاةِ مَالَاتِ الْأُمُورِ،
وَالْحِلْمِ وَالْأَنَانَةِ، وَهَذَا مِنَ الْجَهْلِ وَالتَّعَصُّبِ الَّذِي ابْتُلِيَتْ بِهِ الْأُمَّةُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا. وَيَتَّهَمُ هُؤُلَاءِ
الشَّبَابُ الْعُلَمَاءَ بِأَنَّهُمْ يَسْعَوْنَ لِإِسْقَاطِ فَرِيضَةِ الْجِهَادِ؛ فَيَسْفَهُونَهُمْ، وَيَحْقَرُونَهُمْ، وَهَذَا لَعَمْرُ
اللَّهِ افْتِرَاءٌ عَلَى الْعُلَمَاءِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: فِي الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِ مِئَةٍ وَالْأَلْفِ مِنَ الْهَجْرَةِ،
الْمُوَافِقِ لِلْسَّادِسِ مِنْ أَكْتُوبَرِ عَامِ ثَلَاثَةِ وَسَبْعِينَ وَتِسْعِ مِئَةٍ وَالْأَلْفِ مِنَ الْمِيلَادِ، عَبَرَ الْجَيْشُ
الْمِصْرِيَّ قَنَاةَ السُّوَيْسِ، وَحَطَّمَ خَطًّا بَارْلَيْفَ، وَأَلْحَقَ الْهَزِيمَةَ بِالْقَوَاتِ الصُّهْيُونِيَّةِ، فِي يَوْمٍ مِنَ
الْأَيَّامِ الْخَالِدَةِ الَّتِي سَطَّرَهَا التَّارِيخُ فِي أَنْصَعِ صَفْحَاتِهِ، حَيْثُ تَدَفَّقَ جُنُودُنَا الْأَبْطَالُ كَالسَّيْلِ
الْعَرِمِ يَسْتَرِدُّونَ أَرَاضِيَهُمْ، وَيَسْتَعِيدُونَ كَرَامَتَهُمْ وَمَجْدَهُمْ، فَضَرَبُوا بِدِمَائِهِمُ الْمَثَلَ، وَحَفِظُوا
لِأَنْفُسِهِمْ ذِكْرًا حَسَنًا لَا يَنْقَطِعُ، وَأَثْرًا مَجِيدًا لَا يُمَحَى. فَبَعْدَ أَنْ احْتَلَّ الْيَهُودُ سَيْنَاءَ وَالْجَوْلَانَ
وَالضَّفَّةَ الْغَرِبِيَّةَ وَالْقُدْسَ وَغَزَّةَ فِي الْخَامِسِ مِنْ يُونِيُو سَنَةَ سَبْعِ وَسِتِّينَ بَعْدَ التَّسْعِ مِئَةِ وَالْأَلْفِ
مِنَ الْمِيلَادِ، أَخَذُوا يَتَغَنَّوْنَ بِأَسْطُورَةِ جَيْشِهِمُ الَّذِي لَا يُقْهَرُ، لَكِنْ وَفَّقَ اللَّهُ قَادَتَنَا فِي إِعَادَةِ بِنَاءِ
جَيْشِهِمْ، وَجَهَّزَهُ بِالْعِتَادِ، وَخَيْرَةَ جُنُودِ الْأَرْضِ، وَفَاجَأُوا الْيَهُودَ، وَتَعَالَتْ صَيْحَاتُ جُنُودِنَا
«اللَّهُ أَكْبَرُ»، وَتَمَّ عُبُورُ الْقَنَاةِ، وَاقْتِحَامُ حُصُونِ الْعَدُوِّ وَتَحْطِيمُهَا، وَانْدَحَرَ الْعَدُوُّ وَهَزِمَ شَرًّا
هَزِيمَةً، وَرَجَعَتْ أَرْضُ سَيْنَاءَ كَامِلَةً وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، وَشَكَرَ اللَّهُ لِحَيْشِنَا جَيْشِ مِصْرَ الْعَظِيمِ.

عِبَادَ اللَّهِ: انظُرُوا حَوْلَكُمْ، وَاعْتَبِرُوا بِحَالِ الدُّوَلِ الَّتِي أَلَمَّتْ بِهَا تِلْكَ الْخُطُوبُ وَالْفِتَنُ
وَالْحُرُوبُ، وَتَدَخَّلُ الْأَعْدَاءُ فِي شُؤْنِهَا السِّيَاسِيَّةِ وَالِاِقْتِصَادِيَّةِ وَغَيْرِهَا، وَانظُرُوا كَمْ مِنَ
الْأَنْفُسِ قَدْ أَرْهَقَتْ، وَكَمْ مِنَ الدِّمَاءِ أُرِيقَتْ؛ فَإِنَّ السَّعِيدَ مَنْ اعْتَبَرَ بِغَيْرِهِ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ
اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «السَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ بِغَيْرِهِ». فَيَا لَيْتَ شِعْرِي، مَتَى يَفِيقُ شَبَابُنَا الْمَغْرَرُ
بِهِمْ بِالْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ فِي التَّهْلُكَةِ بِاسْمِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟!!